العمل الاجتماعي والإعلام:
أية علاقة؟

د. أحمد درويش
باحث في الفلسفة والفكر الإسلامي
المغرب

ملخص:

نشأ العمل الاجتماعي استجابة مباشرة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة التي شهدتها المجتمعات الغربية في أعقاب الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية. هذه التغيرات، كالتوسع العمراني، والتحولات في بنية الأسرة، والزيادة في معدلات الفقر، خلقت تحديات اجتماعية جديدة استدعت ظهور مهنة العمل الاجتماعي كمحاولة لمعالجتها وتخفيف آثارها. وبالتالي، فإن مصطلح "اجتماعي" هنا يشير إلى التفاعل المستمر بين المارس الاجتماعي والظروف الاجتماعية المتغيرة، حيث يسعى الأول إلى فهم وتلبية احتياجات الفئات الضعيفة والمهمشة في المجتمع.

كلمات مفتاحية: العمل الاجتماعي- الإعلام-التأثير الإعلامي-اجتماعي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

درويش، أحمد. (2024، أكتوبر). العمل الاجتماعي والإعلام: أية علاقة؟. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 205-210.

Abstract:

Social work emerged as a direct response to the profound social and economic changes experienced by Western societies in the aftermath of the Industrial Revolution and the European Renaissance. These changes, such as urbanization, shifts in family structures, and rising poverty rates, created new social challenges that necessitated the emergence of the social work profession as an attempt to address and mitigate their impact. Therefore, the term 'social' here refers to the ongoing interaction between the social worker and the changing social conditions, as the former seeks to understand and meet the needs of vulnerable and marginalized groups in society.

Keywords : social work, media, media influence, societa.

مقدمة

جاء العمل الاجتماعي – بوصفه ظاهرة اجتماعية - استجابة لظروف وسياقات فكرية، حتمها التطور الاقتصادي الغربي والنهضة الأوربية الملحوظة، لذلك فمصطلح اجتماعي Social يشير إلى الحركة والتطور والدينامية القائمة على التغير المتفاعل داخل المجتمعات[1]

ولعل الجذور الأولى لتطور فكرة الإحسان ورعاية الفقراء، مهدت السبل لنشأة وتطور العمل الاجتماعي باعتباره مهنة إنسانية في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، أثمرت بناء فكريا خاصا ومنظومة اجتماعية دقيقة.

ويجد العمل الاجتماعي سنده في المنظومة الإسلامية، حيث قال الله عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]، وبالإضافة إلى تأثيره الدنيوي الفعال، يكون له الجزاء والثواب الأخروي حيث يقول جل من قائل: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[3].

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا نفسّ الله عنهُ كُربة مِن كُرب يوم القيامة، ومَن يسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ ومَن ستَر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه"[(4)].

تساهم السلطة الرابعة بفعالية في دعم المبادرات والمشاريع والمؤسسات أو التعتيم عليها، لما لها من قوة ضمن أجهزة الدولة، ونفوذ في الرأي العام، وللإعلام دور بالغ في التأثير على العمل الاجتماعي، من خلال شقيه النظري العِلمي والتطبيقي العَملي، ولارتباطه الوثيق بعلوم أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس، وعلم الاقتصاد وغيرها، واستفادته من معطياتها من أجل تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للفئات الهشة والطبقات المعوزة من فقراء ومحتاجين، ليتطور تأثيرُها لدعم كل السبل والإمكانات من أجل مساعدة الأفراد على تجاوز مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والعيش بكرامة[(5)].

---

[1] أسس الخدمة الاجتماعية، محمد سيد فهمي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، 2011، ص 3.

[2] سورة الانسان الآية 8.

[3] سورة الإنسان الآية 11.

[(4)] صحيح مسلم رقم الحديث 4946 ص 741.

[(5)] تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي، يمينة هكو، جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، مكتبة الشيخ حسن وجدة، 2011، ص 38.

إن مقاربة هذا الموضوع من الناحية الإعلامية تكتسي أهمية بالغة لعدة اعتبارات، لعل أخطرها التأثير القوي للإعلام في شتى مجالات الحياة الفكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية سواء على الأفراد، على المجتمعات أم على الأمم، ولعل إسقاط رئيس أعظم دولة في العالم ريتشارد نيكسون لا يدع أي مجال للتشكيك في دور الإعلام أو تبخيسه.

ولعل خطورة الموضوع تظهر في موقف الإعلام من العمل الاجتماعي والخيري الذي يتميز بالكثير من الصعوبة والتعقيد؛ فنظرا لأهمية الجمعيات الخيرية في العمل الاجتماعي، فإن معالجة الإعلام لمواضيعه لا تكاد تخرج عن اتجاهين رئيسين:

اتجاه يتسم بالدعم والمساندة الكاملة على جميع المستويات المادية والمعنوية، الإدارية واللوجستية، غير أن ذلك لا يتم إلا من خلال منطلقات فكرية موجهة واستقطاب إيديولوجي ضاغط.

اتجاه يعمل على إثارة التشويش على هذه الهيئات وإحداث الشغب الإعلامي الذي يستهدف التشويه والتشكيك في النوايا والمنطلقات ومحاولة التخفيف من زخمه والمجهودات المبذولة.

لذلك ينبغي التأكيد على أن رصد الصحافة للشؤون العامة والعمل الاجتماعي على وجه الخصوص، يقوم باقتناص المعلومات التي تثير القارئ أو تجذب المشاهد أو تشوق المستمع، مما يقلب المعلومة ويجعلها في غير معناها أو يتتبع السقطات أو الهنات التي يقع فيها العاملون في هذا المجال، ويبالغون في انتقاد التقصير الذي قد يصدر عنهم، مما يزعزع الثقة فيهم، ويهز العمل الاجتماعي برمته، ويتناسون ما فعله هؤلاء الصالحون – رجالا ونساء – وكيف أفنوا زهرة حياتهم في هذه المجهودات المباركة في ظل التحديات الخطيرة التي يعرفها العمل الاجتماعي، حيث عمدت القوى العالمية على إقصاء العمل الخيري الإسلامي من التأثير العالمي، واستخدمت في ذلك سلاح الحرب العالمية، وقد ذكر أحمد محمد عبد العظيم الجمل التضخيم الذي عرفته المؤسسات الخيرية الإسلامية، مع غض الطرف عن المبالغ الخيالية التي تدعم بها المنظمات اليهودية والهيئات المسيحية والتركيز على الجمعيات الإسلامية.

وبهدف التأثير في الجانب النفسي على المتتبع والسيطرة على توجهاته، نجحت للترويج لمقولة: "مؤسسات العمل التطوعي الإسلامي صناديق للإرهاب" مما شكل ضربة موجعة للعمل الاجتماعي الإسلامي على مستويين:

على مستوى الأفراد، ضربت هذا العمل الدؤوب، وشكلت حاجزا نفسيا وعقبة كأداء أمام هذا التشويش المتعمد والتعميم المجحف.

على مستوى المحسنين كان التأثير الإعلامي بالغ القوة وأدى إحجام المحسنين عن التبرع إلى حد بعيد، مخافة التشويه والمتابعة[1].

وهذا ما جعل مفكرا رائدا كالدكتور عبد الوهاب المسيري يذكر معاناته مع بعض صغار الصحفيين، بالرغم مما يتميز به من السمت الهادئ والشخصية الودودة، حيث ذكر أن معظم الصحفيين الذين يأتون للحصول على تصريح أو حوار يسجلون فقط ما يعرفونه، فإذا أضيف فقرهم الثقافي والفكري الشديد، وعجزهم عن التعامل مع غير المألوف، أمكن تخيل حجم الكارثة، وما ضاعف حجم الحنق والاستفزاز الذي تعرض له الدكتور المسيري، عندما وضح أنه غالبا ما يجد ما يصرح به عكس ما نشر لاحقا، والقلة من الصحفيين من تأتي لتقابله بعد أن اطلعت على بعض كتاباته وبلورت بعض الأسئلة الأساسية[2].

هذا من الناحية الموضوعية، أما من الناحية الشخصية، فالأمر أدهى وأمر، لأن التجريح لا يمس الموضوع فقط بل يتعداه إلى الذات، من خلال كيل الاتهامات والافتراءات، فقد يستغل بعض المرجفين تسلق أشخاص غير مستحقين للخدمات العينية أو المعونات المادية من رعاية وتنمية ليُحْجَبَ بذلك المستحقون الفعليون لهذه الإعانات، لذلك ينبري بعض ضعاف النفوس إلى إهالة التراب على هذا المجهود الجبار للعمل الاجتماعي والمساهمات المشكورة في المجال والطعن في العاملين في هذا القطاع الاجتماعي الحساس[3].

كما أن بعض شياطين الإنس يساهمون في المساعدة على إحداث المشكلات وتفاقمها، من خلال تزيين الشر وإغواء الناس، ولعل أخطرها إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، خصوصا بين الطبقتين الغنية والفقيرة بين النخب والعوام، بين الرجال والنساء، وهو ما يزيد من حدة الشعور بالحرمان والفاقة، خصوصا عندما تجد لها السند والحليف الداخلي وهو النفس التي تتماهى مع الشرور وتستجيب لدعاة الشر[4].

---

[1] العمل التطوعي في ميزان الإسلام، أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دار السلام، القاهرة، 2009، ص 129.

[2] رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2008، ص 580.

[3] العمل الاجتماعي والخيري (التنظيم – التحديات – المواجهة) علي بن إبراهيم النحلة، لسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2014، ص 171.

[4] الإسلام والخدمة الاجتماعية، إبراهيم عبد الرحمن رجب، كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان، 2000، ص 43.

وفي نفس السياق نبه أحد رواد العمل الاجتماعي في المغرب الدكتور مصطفى بنحمزة إلى ظاهرة العدوانية في معرض حديثه في اللقاء التواصلي الذي جمعه بمجموعة من الصحفيين والإعلاميين في مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، وتطرق من خلالها إلى رسالة الصحافة والإعلام باعتبارها سيفا ذا حدين، فقد تكون إيجابية تسعى إلى الصالح العام، وتسعى إلى رقي الأمة والمجتمع، وقد تكون سلبية تنشر اليأس والعدمية في نفوس الناس لأنها لا تتعامل بالتجرد الواجب والموضوعية المطلوبة، بل تنظر فقط إلى الكأس الفارغة، خصوصا إذا كانت مصحوبة بسوء النوايا[1].

الخاتمة

لقد كانت هذه محاولة لتملس التأثير الإعلامي الخطير في العمل الاجتماعي، ولعل ما يشوبه من التعقيد والغموض يستدعي الموضوعية التامة، فالإصلاح الاجتماعي وتقويم الاعوجاج أمر مطلوب ودور الإعلام في هذا المجال أمر محمود في حدود الضوابط الثقافية والنظم الاجتماعية واللوائح القانونية بعيدا عن التجريح والمزايدات، لكن هذا الأمر يرافقه تشجيع المجهودات المبذولة من طرف المحسنين والعاملين والأطر الإدارية خصوصا من يعرف منهم بالرغبة الحميدة في خدمة المجتمع، ولعل ما ينبغي الدفع به هو التحفيز على البذل والعطاء وتجنب عرقلة الأعمال الخيرية، وفي الأخير تجنب الاستقطابات الفكرية والاصطفافات الثقافية والإيديولوجية التي تشتت الجهود وتضرب الوحدة والتكتل وتقف ضد تنمية المجتمع ورقي الأفراد.

[1] لقاء تواصلي للدكتور مصطفى بنحمزة مع بعض الإعلاميين بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة يوم 21 دجنبر 2018.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسس الخدمة الاجتماعية، محمد سيد فهمي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، 2011.
- تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي، يمينة هكو، جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، مكتبة الشيخ حسن وجدة، 2011.
- العمل التطوعي في ميزان الإسلام، أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دار السلام، القاهرة، 2009.
- رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2008.
- العمل الاجتماعي والخيري (التنظيم – التحديات – المواجهة) علي بن إبراهيم النحلة، لسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2014.
- الإسلام والخدمة الاجتماعية، إبراهيم عبد الرحمن رجب، كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان، 2000.
- لقاء تواصلي للدكتور مصطفى بنحمزة مع بعض الإعلاميين بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة يوم 21 دجنبر 2018.